مهرجان الرقة المسرحي الثاني:

منصة يتيمة احتفت بجمهور مُثقف!

الرقة ـ (سورية) ـ «القدس العربي» ـ من أنور بدر:

ما بين مهرجان دمشق المسرحي الثالث عشر ومهرجان الرقة المسرحي الثاني، عشرة أيام فقط. عشرة أيام انتقلنا خلالها من مهرجان مركزي تضمن (52) عرضاً إلى مهرجان يبعد (450) كم إلى الشمال الشرقي من العاصمة دمشق، واكتفى بعشرة عروض فقط. الأول توزعت عروضه على عشر صالات مسرحية. فيما لا توجد في الرقة إلا صالة واحدة في مُدرّج مديرية الثقافة تصلح بالأساس كمنصة خطابات أكثر مما هي مُجهزة كخشبة عرض، ومع ذلك سقط مهرجان دمشق المسرحي بكل الدعم الذي قدمته وزارة الثقافة لإنجاحه، فيما نجح مهرجان الرقة بغياب أي دعم من وزارة الثقافة أو حتى مديرية المسارح والموسيقى، نجح في تحقيق أهدافه بتفعيل الحركة المسرحية في المحافظة، وتفعيل العلاقة الراكدة بين المنصة والجمهور، نجح بإمكانيات متواضعة علق عليها أحد أعضاء لجنة التحكيم في مهرجان الرقة والذي كان ضيفاً على مهرجان دمشق المسرحي، بأنه كشخص مفرد كلّف إدارة مهرجان دمشق ما يُقارب (160) ألف ليرة سورية، بينما أقيم مهرجان الرقة بتكلفة لم تتجاوز (650) ألف ليرة.

بعيداً عن المقارنات السابقة والتي يُمكن الاستطراد فيها مطولاً، نقول ان مهرجان الرقة أقيم تحت شعار «نحو مسرحة عربية أكثر عطاءً وأكثر حريةً» وقد جرى في حفل الافتتاح تكريم كل من الفنانين أسعد فضة، فايز قزق، زيناتي قدسية، منى واصف، نضال سيجري، حسن دكاك، كما كُرّم من مسرحيي الرقة الفنان محمود كعيدّ والكاتب مصطفى حقي.

وبالتوازي مع الفيلم القصير الذي وثق للدورة الأولى من مهرجان الرقة المسرحي، حكت لنا رشا العجيلي بصوتها بدايات المسرح في الرقة منذ ثلاثينيات القرن الماضي، حيث قدمت فرقة «عبد السلام العجيلي» عرض «ذي قار» للمخرج «عبد الرحمن الصطاف»، وتتالت الأسماء المسرحية في هذه البلدة الصغيرة: مصطفى حقي، فواز الجدوع، أسعد الجابر، صبحي الدسوقي... كما ظهرت فرق مسرحية لاحقاً باسم اتحاد العمال والحرفين والشبيبة، لكنها سُرعان ما دخلت في نفق الاستعصاء الذي مرّت به ثقافة المنظمات الشعبية الرديفة للحزب القائد، حتى ظهرت فرقة «توتول المسرحية» والتي قدمت ستة عروض منذ عام (1992) وحتى هذا المهرجان الذي شاركت فيه بمسرحية «كفرنون» من إعداد وإخراج حمدي موصللي.

مستوى العروض التي قدمت في هذه الدورة لم يرتق بكامله لمستوى المشاركة في المهرجان، فقدمت فرقة المسرح الجامعي بطرطوس مثلاً عرض «المقولوية» عن «رحلة حنظلة» لسعد الله ونوس. افتقد الحد الأدنى لسويةً العرض المسرحي، مع أنه سبق وحظي بالمرتبة الأولى في مهرجان مصياف المسرحي، وقد حاول المخرج «دانيال الخطيب» تبرير هبوط مستوى العرض من خلال خلافه مع اتحاد طلبة طرطوس، حيث احتجز الديكور، وتغيّب قسم مُهم من الممثلين الذين جرى تصنيع بدائل لهم من الهواة الذين لم يتح لهم الوقت الكافي لحفظ النص ناهيك عن الدخول في الدور. أما «مقام إبراهيم وصفيةّ» لمحمد طيلون، فقد مثل فرع شبيبة الثورة في حلب، لكن هذا العرض كان قد رُفض من قبل مهرجان الشبيبة المسرحي كما صرّح الأستاذ يوسف مُقبل مدير المسرح الشبيبي، إلا أنه وبقدرة قادر شارك في مهرجان دمشق المسرحي.

كذلك جاءت المشاركة العربية الوحيدة في هذا المهرجان من خلال فرقة «المدار» العراقية بعرض «مرحباً أيها الموت» وهي فرقة من الهواة في مدينة البصرة، نجحت بالوصول إلى مدينة الرقة قبل أن تصل إلى بغداد، لكنها في أول نص مسرحي للكاتب ناهض الرمضاني وأولى تجربة إخراجية لمحمد قاسم، طرحت الكثير من الأسئلة عن الحرب والوطن دون أن نشاهد عرضاً بسويةّ هذه الأسئلة.

بالمقابل شاهدنا عروضاً جميلة «أنت لست غارا» عن نص للكاتب التركي «عزيز نيسن»، قدم في الافتتاح من إخراج لؤي شانا، «السيدة الفاضلة» عن نص للكاتب المسرحي والفيلسوف الوجودي الفرنسي «جان بول سارتر» من إخراج يوسف شموط، «نهدا ساطور» من مسرح العبث للكاتب «غيوم أبو لينير» من إعداد وإخراج كميل أبو صعب، «العاري والأنيق» للكاتب الإيطالي الحائز على نوبل للآداب «داريو فو» من إخراج مولود داؤد، «رجال محترمون» من نصوص الروسي الكبير «أنطون تشيخوف» ومن إعداد وإخراج وتمثيل كل من نضال صوّاف وقصي قدسية– وهو العرض الوحيد من إنتاج القطاع الخاص «العين الثالثة» للإنتاج الفني بدمشق.

في هذه البانوراما المتنوعة من العروض كانت الإشكالية الأساسية في محاولة المُعد أو المخرج الذي لعب دور المُعد، أن يحمّل النصوص السابقة مقولات ومواقف سياسية أساءت غالباً للعرض دون أنّ تخدمه. وبشكل خاص عندما يجري تقديم كركتر هزيل للديمقراطية في «نهدا ساطور» يحرّض المتلقي على رفض الديمقراطية، إذا كان هذا الكركتر هو نموذجها فعلاً.

البطل الحقيقي في كل عروض مهرجان الرقة كان الجمهور الراقي بدون منازع، وهو جمهور متابع للعروض وللجلسات النقدية التي أعقبتها بدأب وحرص افتقدناه في مهرجان دمشق المسرحي، إذ لا زلت أذكر بعض الندوات التي تابعناها في قاعة الأمويين في فندق دمشق الدولي، ولم نكن نتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة في بعضها، أو عدد أصابع اليدين معاً في بعضها الآخر.

بينما كانت تغص قاعة عبد السلام العجيلي في مديرية الثقافة حيث تجري جلسات الحوار بأكثر من طاقتها على الاستيعاب، فيفيض الجمهور المتابع خارجها. ولم يكن هذا الجمهور متفرجاً أو متابعاً سلبياً، بل كان فعالاً في الحضور وفي الحوارات المتميزة، بغض النظر عن رأي هنا أو رأي هناك، وأكثر من كان لافتاً للانتباه حضور شخص ضرير اسمه «يوسف الثلجي» شارك في نقاش أكثر من عرض، وبآراء متميزّة جعلتنا نحسد قدرته على التلقي، حتى أنني اقترحت مع آخرين منحه جائزة تكريميةّ باسم «جائزة الجمهور»، لكن لجنة التحكيم المؤلفة من الأستاذ فايز قزق، غسان الجباعي، يوسف مُقبل، عبد الفتاح قلعه جي، جوان جان رفضت ذلك، وقررت منح أفضل عرض لمسرحية «السيدة الفاضلة» من إخراج يوسف شموط، فيما حلت مسرحية «نهدا ساطور» للمخرج كميل أبو صعب في المرتبة الثانية، وحُجبت المرتبة الثالثة مع أنّ عرض «العاري والأنيق» كان يُمكن له أن يُنافس حتى على المركزين الأول والثاني، وعوضّت عرض «رجال محترمون» لنضال صواف وقصي قدسية بجائزة لجنة التحكيم الخاصة، ومنحت كذلك جائزة أفضل ديكور لمسرحيّة «مرحباً أيّها الموت» للمخرج العراقي محمد قاسم.

من جهة ثانية نال المخرج كميل أبو صعب جائزة أفضل إخراج تلاه مولود داؤد عن مسرحية «العاري والأنيق»، أما أفضل ممثلة فحلت يارا بشور في المركز الأول عن دورها في مسرحية «السيدة الفاضلة»، وتقاسمت المركز الثاني كل من عتاب نعيم عن دورها في مسرحية «نهدا ساطور» وشهناز سليم عن دورها في مسرحية «كفرنون» بينما جاءت ندى قطريب في المركز الثالث عن دورها في مسرحية «العاري والأنيق».

وبخصوص أفضل ممثل جاء في المركز الأول ياسين عدس عن دوره في مسرحية «مقام إبراهيم وصفيّة» وحلّ أسامة جنيد في المركز الثاني عن دوره في مسرحية «نهدا ساطور» وتقاسم المركز الثالث عبد الناصر مرقبي عن دوره في مسرحية «أنت لست غارا» وفراس رمضان عن دوره في مسرحية «كفرنون».

وكانت لجنة التحكيم قد أشادت بالدعم الشعبي والرسمي ضمن محافظة الرقة لهذا المهرجان، كما أوصت بضرورة إقامة دورات تدريبيةّ في الفنون المسرحية لتطوير إمكانيات مسرحيي محافظة الرقة، في شتّى المجالات.

وهذه مسألة على قدر من الأهميةّ، لأنّ الهدف النهائي لمهرجانات المسرح في المدن والمحافظات الطرفية هو دعم الحركة المسرحية فيها، وتشجيع مسرحيي هذه المدن على خوض تجاربهم الخاصة، أي أننا نأمل في الدورات القادمة لمهرجان الرقة أن نشاهد أكثر من عرض مسرحي من داخل هذه المحافظة، خاصة وأنّ المسرح يقوم على الحوار وثقافة الحوار فوق المنصة، وبين المنصة والجمهور. وهذا يتطلب من إدارة المهرجان أن ترتقي بسويةّ العروض لمستوى هذا الجمهور الذي كان متميزاً على مستوى كل المهرجانات والمناسبات الثقافية التي عرفتها محافظة الرقة.

مشهد من «السيدة الفاضلة» (القدس العربي)

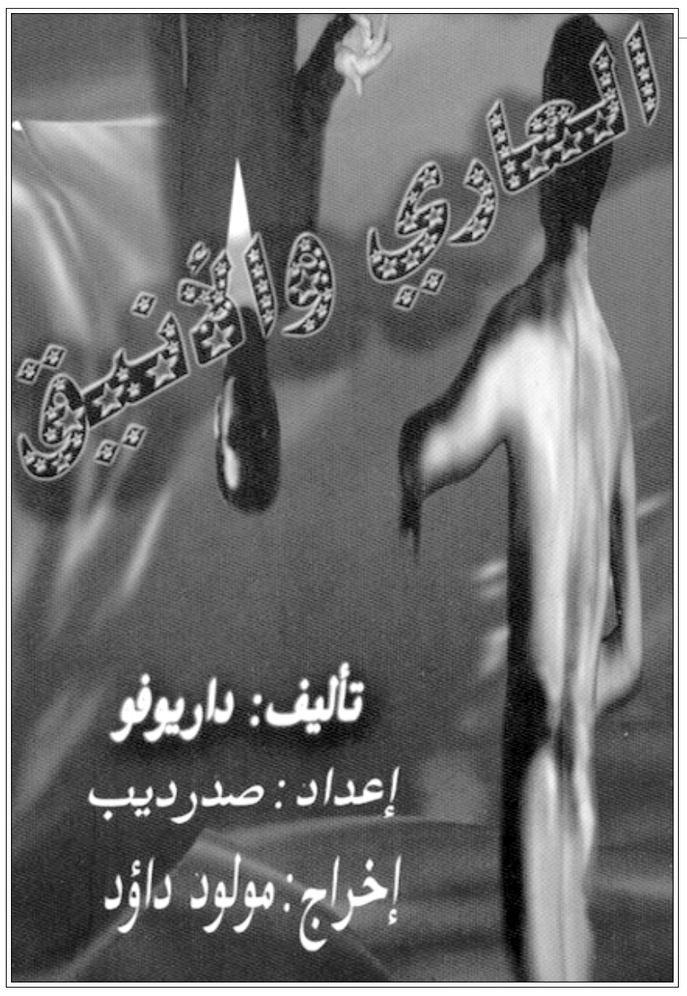

أصدقائي كلاب وأنا ايضا: حزب الكلاب الضالة

مهيب البرغوثي*

■ الشارع مطفأ سوى من بعض الإنارة.. تتوسطه خمسة كلاب، فجأة انزوى كلبان وأخذا يداعبان بعضهما بعضا بعتمة تفوق متعة الجلوس وحيدا على شرفة المنزل الساعة الخامسة صباحا من يوم كهذا، مع كأس من القهوة ونرجيلة تمباك عجمي.

أخذت الكلاب الأخرى بالنباح بصوت متقطع، فعرفت ما معناه أنها تحتج على الخلوة التي قام بها صديقاهما واعتبراها خيانة قد تمت وان كانت مبررة فهي غير مقبولة في وقت العمل.

اعود يوميا في تمام الساعة الرابعة صباحا من عملي اصنع القهوة واعد النرجيلة، حينها تبدأ الكلاب بالتوافد، يأتي الكلب الاحمر، وهو على ما يبدو زعيمهم، ثم تاتي الكلبة وقد سميتها المسعورة لانها مشاع للجميع، وصوتها لا يسكت بتاتا، ثم الابيض والاسود، ولهذا الكلب قصة حزينة فقد خطف أطفال الحي جراءه، وهو كل يوم يمشي حزينا وكلما سمع نباحا يأخذ في البكاء على جرائه دون انقطاع، واخيرا يشرف كلب وصديقته، فتبدأ الحفلة ويبدآن بقمامة الحارة، ولسوء الحظ، فمعظم سكان حارتنا من موظفي الدولة؟

وكم مرة تحدثت وانا عائد مع (بول) زعيمهم حول اهمية اقتسام شارع الارسال ودسامة قاطنيه، لكنه لم يأخذ برأيي كأنه مثلي لا يحب ما ليس له.

وقد حدث مرة ان جمعتني مع هذه الكلاب مأدبة، وقد حدثت مشادة حول قطعة لحم، حيث ادعى بول انها في منطقته فيجب ان تعود له، وانا ادعيت ان لا مكان لي، فكل شيء مباح، وبعد جدال تدخلت الكلاب من المناطق المجاورة، وحدث صلح ووقعنا اتفاقية شرف كان اهم بنودها:

1 ـ عدم عودتي للحاوية مرة اخرى كونها في شارع غير الشارع الذي اقطن فيه.

2 ـ أن نقتسم الشوارع بيننا، لي 3 شوارع و10ساعات، ولها 20 شارعا وما تبقى من الوقت.

3 ـ إذا حدث وجاء عندها ضيف علي ان اتقبله مرغما، واذا جاءني ضيف علي ان اطلب اذنها؟

4 ـ إذا ما كانت قطع اللحم كثيرة او كبيرة اثناء الوقت المخصص لي؛ علي ان اقتسمها معها.

5 ـ عليّ أن احترمها أثناء لعبها، فلا امر من أمامها حتى وان كانت نائمة، وغير مرة احتج الجيران على هذه الصداقة التي يعقبها ازعاج يومي، لكن قلت لهم ان النبي عليه افضل الصلوات والسلام كان قد اوصى بسابع جار فكيف من يقاسمك الشارع والقمامة؟! وفيما بعد عرفت ان الجيران كان احتجاجهم علي وليس على الكلاب.

في الخامسة صباحا من كل يوم اجلس ما يقارب الساعة على شرفتي، وأتعلم درسا في الحرية والفوضى من أجمل واصدق من رأيتها تتقن متعة الحياة، إنها كلاب رفضت أن تعيش في بيوت مرفهة، ورفضت أن تكون لعبة لأي طفل في الأرض، بعد إن سرقت جراؤها وبيعت لتتوزع في إرجاء الوطن.

ولهذا قررت أن أكون حزبا واسميه «حزب الكلاب الضالة»، بعد ان تاهت السبل بنا وبالأصدقاء، فمات من مات وسرقت الدنيا من سرقت وأعطت من أعطت، وتماما مثل أي كلب ضال أحب حريتي ومستعد أن ادفع رأسي ولا أن اخسر ضحكة مهما كانت صغيرة، لذلك اجلس على شرفتي بعد أن أعود في الخامسة صباحا من عملي، معطيا الحرية للكلاب أن تمنعني أو تسمح لي بان أمر، إنها كلاب حرة، وهل على هذه الأرض مهما صغرت أو كبرت إنسان حر؟

* كاتب من فلسطين

حَنّونَةُ القَلْب

عبد الحكيم أبو جاموس*

سَلامٌ على بيتِ حانون
على الصّابِراتِ طَوْعاً وكرْهاً
على الصّافناتِ جِياد،
وما فاقهُنَّ بحَرْبِ المَنِيَّةِ خَيْلْ
على مَن تأبَّطْنَ خَيْراً
فَصَلْنَ وَجُلْنَ وما نالَ مِنْهُنَّ نَذْلْ
تَهادَتْ جُموعُ الحَرائِرِ
لمّا تكالَبَ وَحْشُ المَصائِرْ
هُوَ المَوْتُ،
يَنْشُرُ أشْلاءَهُ السّودَ،
رُعْباً
فَصارتْ مياهُكِ حَمراءَ تُدمي
وباتَتْ عُيونُكِ بالدَّمْعِ تَهْمي
أيا بَيْتَ حَنّونَةَ القَلْبِ والعَقْلِ
يا وَرْدَةً قَدْ تَشَظَّتْ،
فَسالَتْ عُصارَتُها القانيَةْ
في ثَنايا الجِراحْ
أيا امْرَأةً حَمَلَتْها يَدُ الثّائِرينَ،
زِناداً ونَاراً فَطابَ السِّلاحْ
أيا طِفْلَةً شَبَّ طَوْقُ صِباها
تَحَدَّتْ غِمارَ المَنايا
كَطَوْقِ فَخارِ
وإكْليلِ مَجدٍ وَغارْ
فَثارَتْ
فَبانَ لَظاها أُوارْ
وصارتْ بِرغمِ السِّعارِ
تُزَغْرِدُ في مَعْمَعانِ البِطاحْ

* شاعر فلسطيني

في انْكِفاءِ الطُّبولْ
أيا طاهِراتِ الذُّيولِ،
بَنَاتِ الأُصولْ
ويا مُنْقِذاتِ النَّشامَى،
ويا حافِظاتِ العُهودِ،
تَبارَكَ هَذا الأداءُ الجَميلْ

***

تَبَدَّتْ رُبوعُ الفَيافي جَمالاً وَحُسْناً،
وَحَوْلَ حِماكُنَّ طابَ المُقامْ،
فَقَدْ أزْهَرَ النَّرْجسُ الغَضُّ
على شاطِئِ الرّوحِ
في بَيْتِ حَنّونَكِ المُسْتَباحْ

Alhakeem66@hotmail.com

تداعيات

بعدنا الثالث....

محمد حيدر*

■ 30 تشرين الثاني/ نوفمبر في فعاليات وأنشطة ورشة العمل التي أقامتها مؤسسة المورد الثقافي في الأردن حول كيفية وخطوات تكوين وادارة مشاريع ومؤسسات ثقافية عربية.

موضوع هام ومطروح بشكل جدي منذ زمن ليس ببعيد في كثير من الدول الأوروبية. ما كان غنيا ومفيدا فعلا بالاضافة لجدة الموضوع، وللندوات والتطبيقات العملية التي أدارتها بامتياز السيدة مارينا برهم من فلسطين، والدكتور مخلوف بركوح من الجزائر، هو ذلك الفضاء الهام الذي خلقه تواجد مجموعة من الشباب الفنانين والمثقفين القادمين من عدة دول عربية لعرض تجاربهم، حياتهم، وبشكل مختلف همومهم وقلقهم.

كانت تجربة فريدة بالنسبة لي أن أقابل أشخاصا أتوا الآن وللتو من القدس، ورام الله، وبيت لحم، وآخرين أتوا من بغداد، وصنعاء، وعمان، وبيروت، وأن أكون على تماس مباشر مع أخوة وأصدقاء قريبين مني جغرافيا ولغويا، ولكنني لطالما شعرت بهم ـ وخاصة من خلال ما تقدمه عنهم وسائل الاعلام ـ بعيدين كأسطورة، أو كماض ثقيل أتحدث عنه بحماس بدأ يصبح فاترا مع أصدقاء فرنسيين أو عرب مغتربين.

أكثر ما أثار دهشتي واهتمامي هو معرفتي واستماعي الى التجارب والخطوات الثقافية والفنية التي تحدث في بعض بلدان الوطن العربي مثل فلسطين والعراق. كنت أستمع الى ما يقوله الأصدقاء القادمون من هذه البلدان باستغراب شخص قادم من المريخ مسكون بصور القتل والخراب والعويل التي تبثها محطاتنا الفضائية عن هذه البلدان وما تعانيه، لأكتشف فجأة أن الأنشطة الثقافية والأحداث المسرحية والمعارض التشكيلية المتميزة والتي يشارك بها راقصون وفرق وفنانون من كافة أنحاء العالم تفوق في كمها وعددها أحيانا الانتاجات الثقافية لبلدان كبيرة ومستقرة مثل مصر وسورية والمغرب العربي.

هل يوجد أحد ما ـ ضمن مبدأ نظرية المؤامرة التي لم نستطع يوما التخلص منها ـ يحاول تنميط هذه البلدان وتثبيتها في عقولنا وذاكرتنا كبلدان موت وسواد، ينعدم فيها الحب والفن والتطور والانفتاح والحياة؟ هل يوجد مسعى ما يحاول جعل قضايا هذه البلدان الحية والحساسة والتي يمكن أن تتجلى في ملايين الأشكال والألوان والصور قضايا روتينية ذات صوت واحد وذات صورة واحدة يمكن أن نضعها دوما في كل خبر، وان ضاعت فيمكننا أن نستعيض عنها بأي صورة أخرى تشبهها من الأرشيف؟

أعتقد أن جيلي والأجيال التي تأتي بعدنا تواقة لمعرفة فلسطين والعراق، ولفهم فلسطين والعراق، وللاحساس بفلسطين والعراق بطريقة مختلفة ومن زاوية أكثر عمقا وقربا لما يعرض أمامنا عن هذه البلدان منذ عشر سنين وحتى الآن، نحتاج لأن نراها كما هي غنية ومتنوعة وجميلة لكي نصفها أمام الآخرين غنية وجميلة ومتنوعة، فقد ضقنا ذرعا بأنفسنا وضاق الآخرون ذرعا بنا، وربما ضقنا جميعا ذرعا بالقضية نفسها ونحن نصفها مرارا وتكرارا كما نراها على المحطات : قضية صراع وجودي، بلدان موت وحداد، خرابا وتدميرا ودماء في الشوارع. هنالك قتل فعلا وهنالك خراب حقيقي وهنالك قسوة وألم كبيران، ولكن كيف يمكننا أن نحس بالمقتول وعائلته التي تبكي عليه وهم يُقدمون لنا في الصور الاعلامية كشخصيات من الورق تحمل بُعدين فقط ولا تحمل بعدا ثالثا. اننا بحاجة وهذه القضية بحاجة لأن نعرف بعدها الثالث، لأن نعرف بأن هذا الذي تم قتله كان قبل أيام جالسا يضحك مع عائلته، يذهب الى عمله، يشتري الفواكه والخضراوات، يلعب الورق مع أصدقائه، يذهب ربما لرؤية عرض مسرحي، أو يقرأ شعرا يريد أن يهديه الى حبيبته في اليوم التالي. نحن بحاجة لأن نرى كيف كانت الأشجار والبيّارات في فلسطين الجميلة قبل أن تقتلع وتصبح الأرض جرداء، نحن بحاجة لأن نرى الحارات والمقاهي والأزقة في بيت لحم وفي رام الله والسهارى الذين يغنون في الشوارع قبل أن يذهبوا الى بيوتهم ينتظرون أجلا لا يعرفون متى يأتي. البعد الثالث والأعمق لصور شعوبنا ولشعب فلسطين والعراق ولقضايانا هو موجود في الرغبة الهائلة والغريبة عند هذه الشعوب للعيش وللحياة وللحب وللفرح، رغبة كانت وستبقى دوما رغم كل ما يحصل، رغبة تعادل وتفوق في حضورها الخوف من الموت والتدمير، ومن خلالها يمكن أن نفهم ويمكن أن يفهم العالم بأسره مدى قسوة قتل شعب حي ومنفتح وغني، أكثر من أن يفهم ويحس بقسوة قتل شعب ميت ـ كما تلهج المحطات والصحف على تقديمه لنا ـ يتصارع ساسته منذ أشهر على تشكيل حكوماته.

يجب أن يعرف الجميع وخاصة من الأجيال الحالية بأنه توجد في فلسطين، في رام الله، وبيت لحم، والقدس مؤسسات ثقافية ضخمة تنظم مهرجانات للرقص التعبيري ـ وليس فقط للرقص الفولكلوري ـ وتقيم عروضا مسرحية عن نصوص عربية وعالمية وتقيم ورشات عمل لتدريب أطفال (ذكورا واناثا) على الرقص، وتقيم منازل لاستضافة فنانين ومثقفين عالميين وعرب في احدى القرى الفلسطينية الجميلة، وبأن هذه الأنشطة يحضرها جمهور واسع من كافة المدن والأعمار، وبأن هنالك حراكا كبيرا وهاما من مؤسسات المجتمع المدني التي تعنى وتهتم حتى بالأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة. يجب أن يعرف الجميع بأنه في العراق حاليا تقام عروض مسرحية بشكل مستمر، وبأن هنالك عددا كبيرا من الفرق المسرحية ومن المسارح الخاصة التي تعمل يوميا، وبأن هنالك معارض فن تشكيلي وبأن كل صالة عرض في بغداد تقيم معرضا كل أسبوع.

اننا لسنا شعوبا طائفية، وسياسية، تنتظر الذبح، بل نحن شعوب حية، وربما خاصيتنا الأجمل والأكثر صمودا على الرغم من كل ما مر ويمر بنا هو رغبتنا الشديدة في العيش والحلم والاستمتاع بالحياة لآخر لحظة...رغبة تفتقدها بلدان كثيرة أوروبية وغربية مستقرة، كما تفتقد سماواتها شمسنا وحرارتنا.

هذه الرغبة التي نملكها في الابداع والفرح والحب ليست نتيجة ـ كما أصبح يهيأ لنا ـ «للفتوحات» الأمريكية وللاطاحة بنظام أو تغير حكومة، ان هذه مجرد ألاعيب سياسية يمكنها الحصول على أي شيء والمساس لتغيير أي شيء ولكن حتما ليس هذه القدرة والرغبة، انهما أكبر وأعرق من مجرد خطة سياسية أو من حضارة عمرها خمسة قرون. كل ما يمكن أن يعيد لهذه البلدان ولهذه القضايا ألقها وحرارتها وأهميتها هو بعض الاهتمام من قبل محطاتنا الاعلامية بهذا البعد الثالث الحي الذي تتمتع به هؤلاء الشعوب، هو فقط بعض التغطية الاعلامية المكثفة لما يحدث من أنشطة ومن حراك ثقافي وانساني ومدني يُعرض جنبا الى جنب مع التغطيات الحارة والمباشرة للمؤتمرات الصحافية لساسة يعيدون دوما نفس الكلام ويجعلوننا أبعد فأبعد عما يقولون وعن هذه البلدان التي وقعت في خانة التنميط وليس النسيان. كل ما نطلبه من أنفسنا ومن هذه المحطات أن نغير من لغتنا الخشبية والتقليدية، ومن صورنا التي يحكمها البياض أو السواد والتي نستخدمها دوما وأحيانا دون وعي أثناء حديثنا عما يجري وعن هذه القضايا.

ان شعور المفاجأة والاعجاب الشديدين اللذين شعرت بهما وأنا أستمع لكلام وضحكات الأصدقاء الفلسطينيين والعراقيين، اللذين شعرت بهما وأنا أحاول معهم بناء أحلامهم ومشاريعهم الانسانية والاجتماعية ـ وليس فقط القومية والوطنية ـ والتي سيكملونها حتما ودون تردد في فلسطين والعراق، ينبغي أن يصلا لكل شاب عربي ولكل انسان في العالم، ليعرف الجميع بأنهم وبأننا لسنا شخوصا من ورق، بل نحن جزء من حضارة انسانية تُبنى، وبأن مقتل أو موت أحد منا هو شيء استثنائي وجلل يهدد مشروعا حضاريا كاملا بالموت أو العجز.

* مسرحي سوري مقيم في فرنسا